مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد10 /العدد: 01 (2022)، ص 872- 892

إعمال النظريات الفلسفية في التفسير- تفسير عبد الكريم المدرس -

Implementation of philosophical theories in interpretation - Interpretation of Abdul Karim Al-Modrres -

هشام تقرورت [1]، نصر الدين أجدير [2]

[1] جامعة أبو بكر بلقايد –تلمسان- الجزائر، hicham.tagrerout@univ-tlemcen.dz

[2] جامعة أبو بكر بلقايد –تلمسان- الجزائر، adjdir13500@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/12/27 تاريخ القبول: 2022/01/07 تاريخ النشر:2022/01/23

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز النظريات الفلسفية في تفسير عبد الكريم المدرس، إذ أن هذا الباب قلّ من يطرق بابه من المفسرين. وتعتبر النظريات الفلسفية مظهرا فريدا ارتسمت به بعض التفاسير؛ ويعتمد فيه أصحابها على تلك النظريات في تفسير بعض الآيات القرآنية، وهذا ما يكسب البحث في هذا الباب أهمية بالغة في مجال التفسير ومجال الفلسفة، فهو يعطي رؤية جديدة للتفسير من الجانب الفلسفي ويكون حصنا منيعا لتلك الضربات التي يشنها العقلانيون على الإسلام والمسلمين.

كلمات مفتاحية: المنهج، الفلسفة، عبد الكريم المدرس، التفسير، النظريات الفلسفية.

Abstract:

This research aims to highlight the philosophical theories in the interpretation of Abdul Karim Al-Modarres, as this section has few commentators knocking on its door. Philosophical theories are a unique aspect of some interpretations. Its authors rely on those theories in the interpretation of some Qur'anic verses, and this is what gives the research in this section great

importance in the field of interpretation and the field of philosophy.
Keywords: Curriculum; philosophy; Abdul Karim Mudarres; interpretation; philosophical theories.

المؤلف المرسل: هشام تقرورت،

1. مقدمة:

لقد كان للترجمة في العصر العباسي الدور الفعال في صهر العلوم اليونانية وجعلها في قالب علمي وذو لغة عربية، وما إن استكمل علماء المسلمين تفوقهم في الفلسفة اليونانية فتأثروا بها أيما تأثر؛ ثم وظفوها في دراسة الدين الإسلامي بمنظور عقلانية الفيلسوف اليوناني.

وكان القرآن الكريم هو المرتع الأول الذي صال فيه وجال العلماء والمفسرون جهابذة في كل شتى الفنون، فكيفوا تلك النظريات في تفسير معاني الآيات، فشيدوا بذلك معالم جديدة لتفسير جديد زاوج بين الدين والفلسفة. ولقد برز في هذا التفسير مفسرون كثر من بينهم الفارابي وإخوان الصفاء وابن سينا وغيرهم.

ولقد نهج على هذا الطريق عالم نحرير من بلاد العراق وهو عبد الكريم المدرس الذي كان لمسة خاصة في تفسيرات بعض الآيات وحدد فيه معالم المنهج الفلسفي المنضبط بالعقل والدين فلاقح بين الدين والفلسفة في تفسير.

وهذا الأمر يطرح علينا مجموعة من تساؤلات التي نسعى في الإجابة عنها: ما معنى المنهج الفلسفي؟ إلى أي مدى احتكم الشيخ عبد الكريم المدرس للمنهج النبوي في توظيف النظريات الفلسفية في التفسير؟

نروم من خلال هذا البحث لبيان معالم المنهج الفلسفي في تفسير عبد الكريم المدرس، وتجلية تلك النظريات الفلسفية. ومن أجل هاته الغايات اعتمدت على الخطة التالية:

2. مفهوم المنهج الفلسفي.

1.2 تعريف المنهج:

لغة: جاء في المعاجم اللغوية أن المنهج مشتق من فعل (نهج) أي بمعنى الطريق الواضح (الأزدي، 1987م، صفحة 1/ 498)، ونهج الطريق إذا سلكته (الفارابي، 1407هـ-1987م، صفحة 346/01)، ويطلق النهج أيضا على الاقتداء والابتكار (مؤلفين، 1431هـ-2010م، صفحة 2290/03).

اصطلاحا: تعددت تعاريف المنهج من الجانب الاصطلاحي فعرف على أنه: "وسيلة إلى قيادة العقل الإنساني إلى الحقيقة، أو إلى ما يغلب على الظن أنه الحقيقة، حتى لو لم تكن هي الحقيقة في الواقع ونفس الأمر؛ فالحقيقة مثل كنز دفين يبحث الإنسان عنه بوسائل متعددة" (العلواني، 1431هـ-2010م، صفحة 27).

وعرف المنهج أيضا أنه: "وسيلة وأداة لبناء قواعد التفكير، وإرساء دعائم ضوابط البحث العلمي والمعرفي، التي من شأنها أن تعصم الذهن من الوقوع في الخطأ في الفكر وفي البحث العلمي" (العلواني، 1431هـ-2010م، صفحة 28).

وقد ذهب البعض "إلى أن المنهج: مجموعة من العمليات الذهنية تتيح للباحث قدرة على تحليل وفهم تفسير الظواهر المختلفة" (العلواني، 1431هـ-2010م، صفحة 29).

وعرفه أيضا أحمد مختار أنه: "خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها" (مؤلفين، 1431هـ-2010م، صفحة 2291/03).

من خلال هاته التعاريف نستنتج أن المنهج وسيلة للبحث تمشي وفق خطة منظمة وتساعد الباحث على التحليل والتفسير وفهم الظواهر وتقلل من الوقوع في الخطأ في الفكر والبحث العلمي.

نرى في في البحوث العلمية التي تستند على منهج متكامل الأطراف؛ أنها تتسم بالدقة والوضوح في المعطيات والنتائج التي تتوصل إليها.

يمكن أن نعرف المنهج بأنه تلك "**الخطة العلمية المنظمة التي تعصم العقل من الخطأ، وتمكن الباحث من التحليل والاستنتاج اعتمادا على وسائل وطرق موصلة إلى ذلك**". هذا التعريف لا يخرج من دائرة التعاريف التي سيقت من قبل؛ فهو زبد أو خلاصة تلك التعاريف.

2.2 مفهوم الفلسفة:

لغة: جاء في لسان العرب أن كلمة الفلسفة مشتقة من (فلسف) وتعني الحكمة (منظور، 1414هـ، صفحة 273/09)، وهذا اللفظ (فلسفة) مشتق من كلمة (فيليوسوفيا)، وهو مكون من كلمتين: (فيلو) أي: حب، و(سوفيا): بمعنى الحكمة، أي حب الحكمة (ربيع، 1407هـ- 1987م، صفحة 34)، وفلسف الشيء: فسره تفسيرا فلسفيا، أي عرفه بعلله وأسبابه اعتمادا على العقل (مؤلفين، 1431هـ-2010م، صفحة 1739/03). فالفلسفة هي مصطلح دخيل على اللغة العربية، لم يكن له وجود في كلامها وإنما كان معروفا عند اليونان فهو ذو أصل أعجمي يقصد به حب الحكمة القائم على معرفة الأشياء وأسبابها وعللها اعتمادا على العقل.

اصطلاحا: أخذ مفهوم الفلسفة عدة منحنيات من حيث ماهيته التي تعرفه بأنه علم قائم مبني على قواعد وأصول ومناهج يتوكأ عليها، ونذكر تعريفات بعض العلماء والفلاسفة قد ساقوها في مدوناتهم.

تعريف جيل دولوز: "هي الحقل المعرفي القائم على إبداع المفاهيم" (غتّاري، 1997م، صفحة 30).

يقول أبو النصر الفارابي: "إذ الفلسفة حدها وماهيتها أنها العلم بالموجودات مما هي موجودة" (الرزاق، 2011م، صفحة 79).

يقول إخوان الصفاء: "الفلسفة أولها محبة العلوم، وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الإنسانية، وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم".

يقول صدر الدين الشيرازي: "اعلم أن الفلسفة استكمال النفس الإنسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليها والحكم بوجودها تحقيقا بالبراهين لا أخذا بالظن والتقليد".

وعرفها الخوارزمي بأنها: "علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح".

وعرفها الجرجاني بأنها: "التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية؛ لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادق صلى الله عليه وسلم في قوله: "تخلقوا بأخلاق الله" أي تشبهوا به في الإحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات" (الجرجاني، 1403هـ-1983م، صفحة 169).

وعرفه أحمد عمر بأنه: "علم يعنى بدراسة المبادئ والعلل الأولى للأشياء وتفسير الأحداث والظواهر تفسيرا عقليا" (مؤلفين، 1431هـ-2010م، صفحة 1740/03).

وعرفها عزمي طه السيد بأنها: "بحث عقلي منظم، في صورة كلية متعمقة يدور حول حقيقة الوجود والموجودات، وحول كيفية تعامل الإنسان معها" (طه، 2015م، صفحة 14).

وعرفها باقر الصدر بأنها: "مجموعة مفاهيمنا الأساسية عن العالم وطريقة التفكير فيه" (الصدر، 1982م، صفحة 07).

تعدد تعاريف الفلسفة من عالم لآخر وكانت تعاريفهم تختلف باختلاف ما يتناوله من مواضيع في بحثه، فيمكن القول أنه "لا يمكن للباحث في الفلسفة أن يأتي بتعريف يحدد معناها بحيث يكون جامعا مانعا شاملا لها في جميع العصور

والأطوار" (حجازي، د.س، صفحة 10)، إذن فهي تختلف بحسب المواضيع التي يأخذها الفيلسوف أو على حسب نزعته الفلسفية التي يدين بها ويدافع عنها.

المنهج الفلسفي:

من خلال ما سيق من التعاريف الجزئية للمركب الوصفي (المنهج الفلسفي)؛ نقول أن المنهج الفلسفي هو **توظيف القواعد والرؤى الفلسفية لدراسة حقائق الأشياء والموجودات**.

3. مفهوم التفسير.

لغة:جاءت مادة (فسر) على عدة إطلاقات هي: البيان وتفصيل الكتاب (الفراهيدي، د. س، صفحة 07 /247)، عبر (من التعبير) (فارس، 1406هـ-1986م، صفحة 643)، الإيضاح (فارس، مقاييس اللغة، 1399هـ-1979م، صفحة 504/04)، كشف المغطى أو كشف المعنى المعقول (المرتضى، د. س، صفحة 323/13)، التأويل (المرتضى، د. س، صفحة 323/13)، شرح (دوزي، 1979-2000م، صفحة 70/8). هذه المعاني كلها شارحة لبعضها البعض وهي على معنى وهو البيان.

التعريف الاصطلاحي:

- **عند أبو حيان (745هـ):**"علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاته وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك." (القطان، 1421هـ-2000م، صفحة 335).

- **عند الزركشي (794هـ):**"علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه." (الزركشي، 1376هـ-1957م، صفحة 1/ 13).

- **عند المرتضى الزبيدي (1205هـ):**"شرح ما جاء مجملا من القصص في الكتاب الكريم وتعريف ما تدل عليه الألفاظ الغريبة وتبين الأمور التي أنزلت بسببها الآي." (المرتضى، د. س، صفحة 13/ 323).

- **عند محمد جبريل:**" علم يتوصل به إلى معرفة كيفية الانقياد لأمر الله تعالى فيما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم." (جبريل، د. س، صفحة 09).

- **عند صلاح عبد الفتاح الخالدي:**"علم يتم به فهم القرآن وبيان معانيه والكشف عن أحكامه إزالة الإشكال والغموض عن آياته." (الخالدي، 1429هـ-2008م، صفحة 24).

مناقشة التعريفات:

الملاحظ في التعريفات أن التفسير هو علم:

- يفهم به كلام الله عزوجل.
- يبين معاني القرآن ويشرح غريبه.
- استخراج أحكامه وحكمه.
- تفصيل ما جاء مجملا.
- معرفة أسباب النزول.
- معرفة كيفية الانقياد لأمر الله.
- علم بالقراءات.
- علم باللغة.
- علم بالإعراب والناسخ والمنسوخ.

هذه التعاريف منها ما جاء يصب في معني التفسير ومنها ما من عرفه بالثمرة كتعريف محمد جبريل ومنها من عرفه بوظيفة علم التفسير كتعريف مرتضى الزبيدي وأما أبو حيان فقد عرفه بالعلوم الضرورية للمفسر حتى يدرك مراد الله.

يمكن القول أن التفسير: هو علم يفهم به المعاني الكلية والجزئية للقرآن.

محترزات التعريف:

المعاني الكلية: فهم الكليات التي أنزل القرآن من أجلها والتي ساقتها السور المكية.

المعاني الجزئية: المعاني التي ساقها القرآن في السور المدنية التي جاءت مفصلة وشارحة للكليات.

4. الفرق بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية.

إن للفلسفة اليونانية علاقة وطيدة بالفلسفة الإسلامية؛ فنجد بعض أوجه الاتفاق والاختلاف، فبين هاتين الفلسفتين عموم وخصوص من وجه.

- فنجد أن منطلق الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية هو الدهشة والاستغراب من الموجودات المحيطة بالفيلسوف أو بعض الفهوم التي يكتنفها الغموض، فيسعى في محاولة للبحث في ماهياتها تلك الأشياء ورفع ذلك الغموض.

- إن البحث في الفلسفتين واستظهار تلك العلل والتفسيرات نابع عن العقل الذي أودعه الله في الإنسان، فالعقل هو منبع التحليل والتفسير والاستنتاج للأشياء والموجودات.

- والفلسفة بنوعيها "تحاول معرفة كل شيء يمكن للعقل أن يبحث فيه، فهي تحاول أن تتبين من أين جاء هذا العالم؟ وكيف هو الآن؟ وما مصيره؟ كما أنها تبحث في الله وما يجب أن يتصف به، وتبحث في الكون كله بحثا شاملا له في جميع نواحيه، ونعني بالإنسان لأنه الباحث المتعرف" (حجازي، د.س، صفحة 22)، فهي تبحث في الكون والله والإنسان، وهي أيضا المعرفة الحقة لله تعالى، والكون السماوي والأرض، والإنسان، أو هي نظر العقل في تفكير الذي يراد به معرفة حقائق الوجود في العالم الأكبر المحيط بالإنسان، والعالم الأصغر الذي هو الإنسان والمبدأ الأول لذلك كله" (يوسف، 1958م، صفحة 12) في ليست مخصصة ومعينة بموضوع واحد.

إن الفكر اليوناني سار بأصحابه إلى الإلحاد والكفر بالله الموجد لتلك الأشياء المحيطة بهم، أما الفكر الفلسفي الإسلامي المنضبط بتعاليم الوحيين كان سببا لتحصيل المعرفة الحقة بالذات الإلهية وتحقيق السعادة الأخروية، كما كان درعا متينا للدفاع عن الإسلام من الفهوم التي كان متكؤها العقل لا الدين.

5. التعريف بالشيخ عبد الكريم المدرس.

الشيخ عبد الكريم المدرس من أشهر علماء العراق في القرن العشرين، ومن أشهر مفسريها وسنعرض في هذا المحور نبذة صغيرة عنه وعن حياته العلمية وبعض مؤلفاته.

1.5 اسمه ونسبه ونشأته: هو العلامة الشيخ عبد الكريم المدرس بن محمد بن فتاح بن سليمان بن مصطفى بن محمد المشهور ب(محمد خه جي) من عشيرة القاضي الساكنين حاليا في مركز ناحية سيد صادق –شهرزور- في قضاء حلبجه وفي قرية (ماينـدول) وقرى أخرى مجاورة لها. واسم أمه (خانم) وهي من عشيرة (سوره جو) القاطنين في قرية (شانه ده رى) التابعة لناحية سيد صادق (الكرتكي، د.س، الصفحات 32- 33).

ولد في قرية (تكية) على مقربة من ناحية (خورمال)، في شهر ربيع الأول في موسم الربيع سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وعشرين هجرية (المدرس، د.س، صفحة 324) (المدرس، د. س، صفحة 05). وهو في مذهبه الفقهي ينتمي إلى المذهب الشافعي، أشعري العقيدة، صوفي المسلك على الطريقة القادرية النقشبندية (الكرتكي، د.س، صفحة 41).

2.5 رحلته العلمية: يروي الشيخ رحلته العلمية في طلب العلم في كتابه علماؤنا في خدمة العلم والدين، فكان مستهلها منذ كان صغيرا عندما بدأ التمييز فختم القرآن الكريم وبعض الكتب الصغار الدينية، وبعدها كانت وفاة والده رحمه الله. وفي أول محرم سنة ألف وثلاثمائة وإحدى وثلاثين بدأ بدراسة التصريف الزنجاني

في الصرف، ويجول في المدارس وترقى فيها، وترعرع تحت رعاية أحد العلماء من أصدقاء والده فقرأ عند المقدمات النحوية والصرفية حتى مبحث التمييز من كتاب شرح الجامي. وقرأ شرح السيوطي لألفية بن مالك في مدينة (السلمانية)، ثم درس النحو والمنطق، وآداب البحث، والتشريح في الفلكيات والفقه على يد الشيخ علاء الدين ابن عمر ضياء الدين ابن عثمان سراج الدين في مدينة (هه ورامان)، ثم انتقل إلى (بيارة) ودرس برهان الكلنبوي في المنطق في مدرسة أبي عبيدة عند الأستاذ الملا محمد سعيد العبيدي وقرأ فرائض الشيخ معروف النود هي وشرح العقائد النسفية عند الشيخ الملا محمود. وقرأ عند الأستاذ المعزى جملة من العلوم منها أقصى الأماني في البلاغة، والفريدة في النحو والتشريح مع حواشيه للعاملي ورسالة حساب له أيضا، وكتاب إشكال التأسيس في الهندسة وكتاب تقريب المرام شرح تهذيب الكلام في أصول الدين، وجمع الجوامع في أصول الفقه، وحاشية اللاري على القاضي في الحكمة مع حواشي الشيخ عبد القادر، ولقد تحصل على إجازة علمية قدمها له الشيخ المعزى في محفل كبير يجمع كبار العلماء (المدرس، علماؤنا في خدمة العلم والدين، د.س، الصفحات 325-326).

كانت رحلة الشيخ عبد الكريم المدرس مليئة بالعلم والمعرفة وكذا صحبة ومجالسة العلماء مما أكسبه العلم والأخلاق. تميز الشيخ بغزارة العلم وجمعه لكثيرة من العلوم العقلية والنقلية والعلمية، وهذا دلالة على صبره وجلده الشديدين في طلب العلم وتجرع عناء الطلب في ذلك فليس من السهل أن تجمع جملة من العلوم في شتى الفنون بتلك السهولة والبساطة فمن طلب العلا سهر الليالي وشق البحار وفج الأرض بقدميه يطرق باب كل عالم، والعلم بلا أخلاق كشجرة بلا أوراق فالشيخ جمع بين الحسنين غزارة العلم والأخلاق الفاضلة التي استقاها من العلماء وكذلك من التربية الروحية للطريقة التي يسلكها.

3.5 مؤلفاته:

ترك الشيخ ثروة علمية معتبرة من المؤلفات والرسائل العلمية بمختلف اللغات (العربية-الكردية-الفارسية) في مختلف الفنون والعلوم، ولا غرو في ذلك لأنه كان بحرا من العلم ومكتبة متنقلة تروي ظمأ كل عطشان، ونذكر من مؤلفاته:

1- الأنوار القدسية في الأحوال الشخصية.
2- الفرائد الجديدة.
3- جواهر الكلام في عقايد أهل الإسلام.
4- علماؤنا في خدمة العلم والدين.
5- خلاصة منظومة جواهر الكلام في عقايد أهل الإسلام.
6- نور الإسلام.
7- جواهر الفتاوى وخير الزاد في الإرشاد.
8- مواهب الرحمن في تفسير القرآن.

هذه بعض المؤلفات الشيخ عبد الكريم المدرس رحمه الله وهي كتب نفسية في بابها، تعبر عن علمه الواسع وخلقه الفاضل و وسطيته المعتدلة وعن قمة تواضعه.

4.5 وفاته:

لقد كانت حياة الشيخ حافلة بالعلم والتعليم ونشر الإسلام والدعوة بالحق والموعظة الحسنة والأدب، فقد نهل العلم من عند كثير من العلماء، كما أخذ عنه جمع غفير من الطلبة جملة العلوم. وفي صباح يوم الثلاثاء 25 رجب 1426هـ المصادف ل29 أوت 2005م، اقتضت القدرة الإلهية أن تأخذ روح هذا العالم النحرير لتسكن بجوارها ربها في جنان الخلد مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، عن عمر يناهز المائة وست سنوات، ودفن بالمقبرة الكيلانية

(الكرتكي، د.س، صفحة 44)،تركت وفاته فراغا رهيبا في العالم الإسلامي فكانت فاجعة كبيرة، وكان يوم وفاته يوما حزينا لأهل العلم وأهله في العراق عامة وكردستان خاصة.

4. البعد الفلسفي عند عبد الكريم المدرس في تفسيره.

كان للشيخ عبد الكريم المدرس لمسته الفلسفية الخاصة في التفسير، إذ اعتمد على بعض النظريات والقواعد الفلسفية في معالجة بعض الآيات القرآنية. وفي هذه الورقة الأخيرة سأعرض الجانب التطبيقي في توظيف ورعاية المنهج الفلسفي في التفسير عند عبد الكريم المدرس.

المسألة الأولى: نظرية الانفعالات.

قال الله تعالى: **{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)} سورة البقرة 117.** يقول المدرس حول تفسير هذه الآية: "أي مبدعهما ومخرجهما من العدم إلى الوجود والوالد ينفعل بانفعال مادة الولد وعنصره الموافق له. والواجب الوجود بريء من الانفعالات، فاعتقاد وجود الأولاد له يناقض الاعتقاد بوجوب وجود" (المدرس، 1406هـ-1986م، صفحة 244/01)، فالله عز وجل الذي هو خالق السماوات والأراضين وما فيهن لا تؤثر فيه هاته الحوادث التي كان هو الموجد لها، فهو ليس بشر –ليس كمثله شيء- يتأثرون بما يحيط بهم في الوسط الخارجي. فلقد وظف الشيخ عبد الكريم المدرس في هذه الآية نظرية الانفعال أو بمفهوم آخر نظرية التأثر أو رد الفعل، ولقد عرض الشيخ بشرح لهذه النظرية في كتابه رسائل الرحمة في المنطق والحكمة وذلك بعدما تكلم عن الفعل "الذي هو تأثير الشيء في الشيء ما دام مؤثرا كتسخين النار للماء مادامت مسخنة" (المدرس، د. س، صفحة 114)، ثم قال أن الانفعال "وهو تأثره عنه مادام متأثرا كتسخين الماء بالنار مادام متسخنا، وما يحصل منهما قد يكون كيفاً أو كماً أو وضعاً أو غيرها كالأين" (المدرس، د. س، صفحة 114)، وقال

الإمام أبو حامد الغزالي أن الانفعال هو "نبة الجوهر المتغير إلى السبب المغير، فإن كل منفعل فعن فاعل، وكل متسخن ومتبرد فعن مسخن ومبرد بحكم العادة المطردة عند أهل الحق، وبحكم ضرورة الجبلة عند المعتزلة والفلاسفة. والإنفعال على الجملة تغير، والتغير قد يكون من كيفية إلى كيفية مثل تصير الشعر من السواد إلى البياض، فغنه غيره الكبر على التدريج وصيره من السواد إلى البياض، فإنه غيّره الكبر على التدريج وصيره من السواد إلى البياض قليلا بالتدريج" (الغزالي، 1961م، صفحة 328). فالله عز وجل منزه عن الكيف أو الكم أو الوضع وكذا الأين، فهو يختلف عن تلك الحوادث التي تطرأ عليها العوارض والتي تتأثر بحوادث مثلها فتنفعل معها وتتأثر بها.

المسألة الثانية: نظرية الإيجاب الكلي ورفعه.

قال الله تعالى: {**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)**} **سورة الأنعام 103**. "أي لا تدركه الأبصار المودعة في الوجوه في هذه الدنيا وإنما تدركه الأبصار المودعة في وجوه الوجهاء في الآخرة، ووجهاء الآخرة من وجه وجهه في حياته إلى ذاته وصفاته، ونظر إلى رحمته وهباته وترك محرماته، وأدى واجباته، وفيهم قال الله تعالى: {**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**}" (المدرس، 1406هـ-1986م، صفحة 03/ 300)، فالشيخ يقرر في هذا التفسير ما أقره أهل السنة وهي مسألة رؤية الله عز وجل بخلاف ما عمد إلية المعتزلة الذين نفوا تلك الرؤية، يقول جار الله الزمخشري في تفسيره الكشاف: "البصر: هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر، به تدرك المبصرات، فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه، لأنه متعال أن يكون مبصراً في ذاته، لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا، كالأجسام والهيئات" (الزمخشري، 1407هـ). فقول الزمخشري (لأنه متعال أن يكون مبصرا في ذاته) في هذه العبارة يعرج الزمخشري إلى ما عرج إليه أمثاله من المعتزلة نفي رؤية الله عز وجل.

ولقد استدل الشيخ عبد الكريم المدرس عن ما ذهب إليه علماء أهل السنة في ثبوت رؤية الله تعالى، وذلك من خلال اعتماده على النظريات الفلسفية والمنطقية التي أقرها العلماء، إذ يقول: "إنما فسرنا الآية على الوجه المذكور ؛ لأنه لا يجوز حملها على السلب الكلي المستغرق للأزمنة والأمكنة والأحوال مع أفراد الموضوع، وإلا لزم أن لا ترى ذاته الشريفة عين في الدنيا ولا في الآخرة لا من المؤمن ولا من الكافر؛ وليس الأمر كذلك لأنه تقررت الآية بحملها على رفع الإيجاب الكلي، أي لا تدركه كل الأبصار وإنما بعض الأبصار، وذلك لوجود الدليل على رؤيته تعالى في دار الآخرة" (المدرس، 1406هـ-1986م، صفحة 03/ 300)، فلو كان السلب كليا مستغرقا لجميع الأزمنة والأمكنة لصدق المعتزلة وكان توجههم وتفسيرهم للآية صحيحا وصائبا، ولكن هذا لم يكن متقررا في هذه الآية لوجود أدلة على رؤية الله تعالى يوم القيامة، فيكون رفع الإيجاب الكلي هو الموافق لتفسير الآية، يقول عبد الكريم في حاشية كتابه رسائل الحكمة: "أن السلب رفع الإيجاب الكلي، الصادق بالإيجاب في بعض الأوقات، الذي هو وقت وصفه، وبالسلب في بعض أوقاته الآخر الذي هو غير وقت وصفه، وإلا فالسلب الكلي بالنظر إلى جميع أوقات الذات كاذب، تحقق الإيجاب في جميع أوقات الوصف الذي هو بعض أوقات الذات" (المدرس، د. س، صفحة 240). وبهذا المنطق العقلي الموافق للقرائح السليمة ينتفي ما ذهب إليه المعتزلة الذين نفوا رؤية ذاته الشريفة ويتحقق صحة مذهب أهل السنة والجماعة.

المسألة الثالثة: فلسفة الروح.

قال الله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (60)}** سورة الأنعام **60**. بعدما عرض المدرس معاني هذه الآية الكريمة تطرق إلى بيان بعض الحقائق عن الروح؛ والتي تكلم عنها الفلاسفة القدماء، إذ يبرز أن

الروح نوعان حيوانية وإنسانية فقال عن الأولى وذكر بعض الخصائص عنها: "ومما ينبغي أن يُعلم الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم- أمسك عن بيان حقيقة الروح فأمسك عنها العلماء تأدبا، وذلك لغموضها وصعوبة الوصول إلى كشفها، ولكنهم ذكروا أن للإنسان روحا حيوانيا يتولد من البخار المتولد من القلب الصنوبري، ويكون مدارا للحس والحركة الإرادية وبفنائه يفنى الإنسان ويموت" (المدرس، 1406هـ-1986م، صفحة 03/ 268)، ثم تطرق لذكر الروح الإنسانية وذكر بعض الخصائص عنها بقوله: "وله روح إنساني ويقال لها الروح والنفس الناطقة، وعليها مدار العقل والتميز وبها يصير الإنسان إنسانا عالما بالكليات والجزئيات المجردة والمادية، وهو المسئول يوم القيامة عن الأعمال خيرها وشرها، وهو المتمتع بنعيم الجنة أو المعذب بعذاب الحجيم" (المدرس، 1406هـ-1986م، صفحة 03/ 268)، هذا الكلام نجده مكتوبا ومدونا عن الفلاسفة القدماء؛ الذي يتحدث مركبات الروح التي تتركب منها. يقول أبو حامد الغزالي حول ما ذكره الفلاسفة عن الروح ومذهبهم في القوى المدركة وأقسامها: " والخوض في هذا يستدعي شرح مذهبهم في القوى الحيوانية والإنسانية. والقوى الحيوانية تنقسم عندهم إلى قسمين: محركة ومدركة." (الغزالي، د. س، صفحة 252)، فالقوى تنقسم حسب إلى قسمين فهناك قوى حيوانية تنقسم إلى محركة ومدركة وهناك قوى إنسانية التي يقال عنها كذلك بالنفس الناطقة أو كما ذكرها الغزالي بالنفس العاقلة يقول في هذا المقام عن النفس: "فأما النفس العاقلة الإنسانية المسماة الناطقة عندهم، والمراد بالناطقة العاقلة لأن النطق أخص ثمرات العقل في الظاهر، فنسبت إليه" (الغزالي، د. س، صفحة 255).

ولقد استدل عبد الكريم المدرس على وجود الروح الحيواني والنفس الإنساني بقول ابن عباس رضي الله عنهما فقال: "ويؤيد ما ذكرنا من وجود الروح الحيواني أو النفس الإنساني ما روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما- أن في ابن

آدم نفسا وروحا بينهما شعاع الشمس؛ فالنفس التي بها العقل والتميز، والروح التي بها النّفس والحياة، فتتوفيان عند الموت، وتتوفى النفس وحدها عند النوم" (المدرس، 1406هـ-1986م، صفحة 03/ 270)، نرجع فنقول خلاصة هذا إنما هو اجتهادات العلماء والفلاسفة خاضوا غمار البحث والاكتشاف في كنه الروح، ولكن تبقى الروح من أمر الله لا يعرفها إلا هو.

المسألة الرابعة: نظرية العلة والمعلول.

قال الله تعالى: **{ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ} الأنعام 38-39**.عند تفسيره لقوله تعالى:" **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا}** قال: "والذين كذبوا: في قوة التعليل، أو نزلت بمناسبة للآيات تشبه مناسبة العلة للمعلول في قوة الارتباط والمقارنة في الوجود" (المدرس، 1406هـ-1986م، صفحة 03/ 256). تكلم الشيخ في هذه الآية عن ما يسمى بالعلة والمعلول والعلاقة الترابطية التي تجمعهما، يقول الفلاسفة ذكره الغزالي عنهم في كتابه تهافت الفلاسفة: "يقولون: إن العالم معلول علته أزلية أبدية فكان المعلول مع العلة، ويقولون: إذا لم تتغير العلة لم يتغير المعلول وعليه بنوا منع الحدوث وهو بعينه جار في الانقطاع" (الغزالي، د. س، صفحة 124). لقد جعل الفلاسفة العالم هو نتاج علة أزلية أبدية لا تنفك عنه؛ وهذا الكلام يعد من "مسلتزمات الحركة الديكالتية عند أئمة المادية الجدلية، إذ ما دام العالم المادي هو وحده الذي ينبسط على ساحة الوجود. وما دام أن سلطان الحركة الجدلية هو الذي يسير هذا العالم وينميه ويطوره، إذن فالمادة لا بد أن تكون أزلية منذ فجر الوجود الذي لا فجر له، نتحرك _ إلى ملا نهاية" (البوطي، 1438هـ-2017م، صفحة 178)، هذا الذي يراه أهل الفلسفة الجدلية أن هذا العالم سرمدي أزلي لا نهاية له، وهذا نابع من فكرة العلة والمعلول " والعلة الأولى هي الغاية، فلولاها لما صار النجار نجارا، وكونها علة سابقة سائر العلل إذ بها صارت

العلل علالا ووجودها متأخرا عن وجود الكل، وإنما المتقدم عليتها، والعلة أبدا أشرف من القابل لأن الفاعل مفيد والقابل مستفيد. ثم العلة قد تكوهن بالذات وقد تكون بالعرض، وقد تكون بالقوة وقد تكون بالفعل، وقد تكون قريبة وقد تكون بعيدة" (الغزالي، 1961م، الصفحات 331- 332)، وانطلاقا من هاته العلة التي هي مهد الأشياء " وهو العلة الفاعلية كالنجار للسرير، وإلى ما لأجله وجود المعلول وهو العلة الغائية كالصلوح للجلوس للكرسي والسرير" (الغزالي، 1961م، صفحة 331)، وهناك من يرى من أئمة المادية الجدلية "أن حركة الأسباب والمسببات لا تتم إلا ضمن سلطان الطبيعة، أي فلا وجود لما يسمى بظاهرة العلة الغائية بين الأسباب والمسببات، ذلك لأنه لا مكان للغاية ولا مسوغ لها بالنسبة إلى عالم هو الطبيعة المادي بكل ما فيها من قابليات وإمكانات، فالعلاقة بين السبب والمسبب إذن علاقة طبيعية حتمية" (البوطي، 1438هـ-2017م، صفحة 182).

وانطلاقا من فلسفة العلة والمعلول يرى عبد الكريم المدرس أن الكافرين "لا يعلمون أن الله قادر على كل شيء ولا يؤمنون بآيات الله مع ما يرونه من الآثار الدالة على وجوده وكماله، فاستمروا في ظلمات الجهل وتحت سيطرة التقليد الأعمى وركبوا جماح الهوى النفسية التي تعاند الهدى القدسي" (المدرس، 1406هـ-1986م، صفحة 03/ 256)، فهم يظنون في اعتقادهم أن الحياة أزلية ولا وجود لرب لهذا الوجود وأن الدهر هو الذي الدهر، فلو رجعوا بأنفسهم بعقلية تتبع العلة والمعلول لاهتدوا إلى أن هناك موجداً ومدبراً لهذا الكون الفسيح.

4. خاتمة:

خلصنا في نهاية هذا البحث إلى مجموعة من النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث والتقصي في ثنايا الآيات القرآنية، ولكن هذه النتائج تبقى في دائرة التوسمات نذكر منها:

-المنهج الفلسفي هو ذاك المنهج الذي يعتمد ويتوكأ على النظريات الفلسفية التي شغلت مجال الوجود وبالتحديد الله والكون والإنسان.

-تأثر العلماء بهذا المنهج الفلسفي ولكن كيفوه على ما جاء بالكتاب والسنة فأصبح إسلاميا ينبري له كل عالم فذ.

-كان الشيخ عبد الكريم المدرس من جملة هؤلاء العلماء الذين استخدموا النظريات الفلسفية في ثنايا تفسيراتهم.

-كان لعلم الكلام والمنطق الصدارة في تفسيرات العلماء وكذلك في كتاباتهم التي فهموا بها الوجود وما تدرسه الفلسفة اليونانية ولكن بما يوافق العقل والدين.

-اعتمد عبد الكريم المدرس على القواعد الفلسفية والقواعد المنطقية التي بها رد على بعض أقوال الفلاسفة والمعتزلة.

5. قائمة المراجع:

1 - ابن فارس. (1406هـ-1986م). *مجمل اللغة*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

2 - ابن فارس. (1399هـ-1979م). *مقاييس اللغة*. دار الفكر.

3 - ابن منظور. (1414هـ). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

4 - أبو الفيض المرتضى. (د. س). *تاج العروس*. دار الهداية.

5 - أبو بكر الأزدي. (1987م). *جمهرة اللغة*. بيروت: دار الملايين.

6 - أبو حامد الغزالي. (د. س). *تهافت الفلاسفة*. القاهرة-مصر: دار المعارف.

7 - أبو حامد الغزالي. (1961م). *معيار العلم في فن المنطق*. مصر: دار المعارف.

8 - الجرجاني. (1403هـ-1983م). *كتاب التعاريف*. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

9 - الخليل الفراهيدي. (د. س). *معجم العين*. دار ومكتبة الهلال.

10 - الزمخشري. (1407هـ). *الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل*. بيروت: دار الكتاب العربي.

11 - الفارابي. (1407هـ-1987م). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. بيروت: دار الملايين.

12 - باقر الصدر. (1982م). *فلسفتنا*. بيروت: دار التعاون للمطبوعات.

13 - بدر الدين الزركشي. (1376هـ-1957م). *البرهان في علوم القرآن*. دار إحياء الكتب العربية.

14 - جيل دولوز وفليكس غتّاري. (1997م). *ما هي الفلسفة*. بيروت: مركز الإنماء القومي.

15 - رمضان البوطي. (1438هـ-2017م). *المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصر*. دار الفكر.

16- رينهارت دوزي. (1979-2000م). *تكملة المعاجم العربية*. العراق: وزارة الثقافة والإعلام.

17- صلاح عبد الفتاح الخالدي. (1429هـ-2008م). *تعريف الدارسين بمناهج المفسرين*. دمشق: دار القلم.

18- طه جابر العلواني. (1431هـ-2010م). *معالم في المنهج القرآني*. القاهرة: دار السلام.

19- عبد الكريم المدرس. (د. س). *المقالات في المقولات علم الحكمة*. د. ط.

20- عبد الكريم المدرس. (د. س). *رسائل الرحمة في المنطق والحكمة*. الدار العربية للطباعة.

21- عبد الكريم المدرس. (د.س). *علماؤنا في خدمة العلم والدين*. د.ط.

22- عبد الكريم المدرس. (1406هـ-1986م). *مواهب الرحمن في تفسير القرآن*. بغداد: دار الحرية للطباعة.

23- عبد الله سعيد ويسي الكرتكي. (د.س). *جهود الشيخ عبد الكريم المدرس الفقهية*. د.ط.

24- عزمي طه. (2015م). *الوجه الآخر للفلسفة: مدخل معاصر*. اربد: عالم الكتب الحديث.

25- مجموعة مؤلفين. (1431هـ-2010م). *معجم اللغة العربية المعاصر*. عالم الكتب.

26- محمد جبريل. (د. س). *عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن*. مدينة منورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

27- محمد ربيع. (1407هـ- 1987م). *مناهج البحث في العلوم السياسية*. كويت: مكتبة الفلاح.

28- محمد نعيم وعوض حجازي. (د.س). *في الفلسفة الإسلامية وصلاتها بالفلسفة اليونانية*. القاهرة: دار الطباعة المحمدية بالأزهر.

29- محمد يوسف. (1958م). *القرآن والفلسفة*. مصر: دار المعارف.

30- مصطفى عبد الرزاق. (2011م). *تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية*. القاهرة: دار الكتاب المصري.

31- مناع القطان. (1421هـ-2000م). *مباحث في علوم القرآن*. مكتبة المعارف.